التسامحُ .. ركيزةُ بناءٍ وصمامُ أمان

الهدف المراد توصيله إلى جمهور المسجد:

إبرازُ قيمةِ التسامحِ باعتبارِهِ ركيزةً أساسيةً في بناءِ المجتمعاتِ المتماسكةِ المستقرةِ الآمنةِ، وبيانُ أثرِهِ في نشرِ المحبةِ، وجمعِ القلوبِ، وترسيخِ ثقافةِ العفوِ وقبولِ الاختلافِ.

العناصر:

١. التسامحُ واستيعابُ الاختلافِ من ركائزِ تماسكِ الوطنِ واستقرارِ المجتمعِ.
٢. كظمُ الغيظِ والعفوُ عن الإساءةِ ومقابلةُ السيئةِ بالحسنةِ من مكارمِ الأخلاقِ.
٣. السماحةُ في المعاملاتِ والعلاقاتِ الأسريةِ والإنسانيةِ أساسُ الأمنِ والاستقرارِ.
٤. التسامحُ عفوٌ دونَ تفريطٍ في الحقوقِ، ونبذٌ للشقاقِ والتعصبِ.
٥. التسامحُ سلوكٌ عمليٌّ يقومُ على كظمِ الغيظِ، والعفوِ، والإحسانِ، والرفقِ بالناسِ، وإصلاحِ ذاتِ البينِ.
٦. تربيةُ الأطفالِ على التسامحِ والرحمةِ بالقدوةِ الحسنةِ، وصيانةِ كرامتِهِمْ، أساسُ بناءِ جيلٍ سويٍّ متوازنٍ.

الأدلة من القرآن الكريم:

١. قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].
٢. قوله تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].
٣. قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].
٤. قوله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥].

الأدلة من السنة النبوية:

١. حديث: «اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ».
٢. حديث: «لَا تَقَاطَعُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا».
٣. حديث: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ».

التسامحُ .. ركيزةُ بناءٍ وصمامُ أمان

الحمدُ للهِ الذي فطرَ النفوسَ على محبةِ الائتلافِ والوئامِ، وشرَّفَ الإنسانَ بفضائلِ السماحةِ ومحاسنِ الأنامِ، وجعلَ العفوَ والصفحَ حصنًا للترابطِ وصلاحِ الأقوامِ، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ، الرؤوفُ بالعبادِ ذو الفضلِ والإنعامِ، وأشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ، المبعوثُ بالحنيفيةِ السمحةِ رحمةً للأنامِ، صلى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وصحبِهِ ومن تبعهم بإحسانٍ على الدوامِ، أما بعدُ، فيا عبادَ اللهِ:

١- حافظوا على تماسكِ وطنِكم باستيعابِ الاختلافِ، واحتواءِ الخلافِ، وصيانةِ روابطِ المودةِ بين أبنائِهِ: فإنَّ عافيةَ الأممِ وقوتَها تتحقان بحسنِ إدارةِ التنوعِ وتجاوزِ العثراتِ لا بتشابهِ الآراءِ وغيابِ التعددِ، فنشرُ روحِ التسامحِ يعلمُ المرءَ كيفَ يختلفُ دونَ تباغضٍ، ويعاتبُ دونَ قطيعةٍ، ويحفظُ للإنسانِ كرامتَهُ وإنْ خالفَهُ في رأيٍ أو أساءَ إليهِ في موقفٍ؛ إذْ إنَّ التهاونَ في حفظِ هذهِ الكرامةِ عندَ الخلافِ هو الشرارةُ الأولى للفرقةِ، فكثيرٌ من التصدعِ يبدأُ بكلمةٍ غيرِ موزونةٍ أو هفوةٍ عابرةٍ، ثمَّ يتسعُ بسوءِ الظنِّ والانتصارِ للذاتِ، وقدْ جاءتْ شريعتُنا الغراءُ بمنظومةٍ أخلاقيةٍ تردُّ العلاقاتِ إلى أصولِ الرحمةِ والعدلِ والإحسانِ، وتجعلُ التيسيرَ والاعتدالَ من أكبرِ مقاصدِها، تصديقًا لقولهِ سبحانهُ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

٢- أيها المكرَّم، احرصْ على ضبطِ نفسِكَ بكظمِ الغيظِ، ولينِ الجانبِ، ومقابلةِ الإساءةِ بالإحسانِ: فإنَّ بناءَ كيانٍ متراحمٍ يبدأُ بتهذيبِ الفردِ وإخراجِهِ من أسرِ الأنانيةِ وسرعةِ الغضبِ إلى رحابةِ الحلمِ والإنصافِ، فمن ملكَ زمامَ انفعالاتِهِ منعَ نفسَهُ من الظلمِ والعدوانِ، كما أنَّ الرفقَ وبشاشةَ الوجهِ يأسرانِ القلوبَ ويجمعانِ الشملَ، بخلافِ الفظاظةِ والجفاءِ اللذينِ يُنفِّرانِ الناسَ، ولذلكَ كانَ المؤمنُ الحقُّ يألفُ ويؤلفُ، ويبادرُ بإفشاءِ السلامِ وإطعامِ الطعامِ وصلةِ الأرحامِ لإزالةِ الوحشةِ واستجلابِ المحبةِ، بلْ يرتقي إلى دفعِ السيئةِ بالحسنةِ لتنطفئَ نارُ العداوةِ وتنقلبَ مودةً، وفي هذا المعنى وقفَ النبيُّ ﷺ يومَ فتحِ مكةَ أمامَ من آذوهُ وأخرجوهُ فقالَ لهمْ كلمتَهُ الخالدةَ في الصفحِ: «اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ»، محولًا بذلكَ الخصومةَ إلى سلامٍ وأمانٍ، وعلى النهجِ ذاتِهِ عفا سيدُنا يوسفُ

عن إخوتِهِ بعدَ أنْ مكَّنَهُ اللهُ منهمْ، فجمعَ شملَ الأسرةِ وأزالَ آثارَ التجاوزِ بروحٍ نبيلةٍ، وقدْ كانَ الصحبُ الكرامُ يبادرونَ بالعفوِ عن المسيءِ ابتغاءَ مرضاةِ اللهِ، فيغلقونَ أبوابَ الثأرِ والخصامِ، فحينَ يغدو العفوُ خلقًا أصيلًا لا تكلفَ فيهِ، يتجلى أثرُ التسامحِ في حياةِ الفردِ والمجتمعِ تحقيقًا لقولِ اللهِ عزَّ وجلَّ: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾ [فصلت: ٣٤].

٣- واعلمْ أنَّ السماحةَ في المعاملاتِ الماليةِ، والحياةِ الأسريةِ، والتعايشِ الإنسانيِّ، سرُّ الأمنِ والاستقرارِ؛ فبالسماحةِ وتركِ المشاحنةِ تتحققُ البركةُ في البيعِ والشراءِ، ويكونُ ذلكَ بالتيسيرِ على المدينِ المعسرِ، والارتقاءِ من العدلِ إلى الفضلِ، كما تدومُ العشرةُ في البيوتِ بالتغافلِ عن الهفواتِ، وتقديمِ المحاسنِ على العيوبِ، وكذلكَ في ميادينِ النقاشِ الفكريِّ والحوارِ المجتمعيِّ، حيثُ يصانُ اللسانُ عن المراءِ والجدلِ العقيمِ، كما يمتدُّ هذا الأفقُ ليشملَ البرَّ والقسطَ وحسنَ الجوارِ والوفاءَ بالعهدِ مع شركاءِ الوطنِ؛ لينالَ العبدُ العزَّ في الدنيا، والنجاةَ من كربِ الآخرةِ، ومغفرةَ الذنوبِ، امتثالًا لقولِهِ تعالى: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

٤- واحذرْ أنْ تكونَ غافلًا عن عاقبةِ الشقاقِ والتعصبِ، أوْ أنْ تخلطَ بينَ العفوِ المشروعِ وبينَ تضييعِ الحقوقِ؛ فإنَّ غيابَ الصفحِ يورثُ الحقدَ، ويفككُ الأسرَ، ويهدرُ الطاقاتِ، وينشئُ أجيالًا ترى في الانتقامِ والتشهيرِ عبرَ المنصاتِ الرقميةِ سبيلًا لحلِّ النزاعاتِ، فلا بدَّ من الوعيِ بضوابطِ التسامحِ، فهو ليسَ ضعفًا ولا استسلامًا للظلمِ ولا تفريطًا في الثوابتِ أو حقوقِ الضعفاءِ، بلْ هو موازنةٌ حكيمةٌ تفرقُ بينَ الحقِّ الشخصيِّ الذي يُندبُ التنازلُ عنهُ للإصلاحِ، وبينَ الحقِّ العامِّ الذي تجبُ صيانتهُ، كما كانَ حالُ النبيِّ ﷺ الذي لمْ ينتقمْ لنفسِهِ قطُّ، إلا إذا انتُهِكَتْ محارمُ اللهِ، فإنه ينتصرُ للحقِّ، وقدْ نهانا النبيُّ ﷺ عنِ التباغضِ والتحاسدِ والتدابرِ، فقال: «لَا تَقَاطَعُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا».



الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ على دوامِ النعمِ، ونعوذُ بهِ سبحانَهُ من شرِّ النقمِ، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ، وأشهدُ أنَّ سيدَنا محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ، أما بعدُ، فيا عبادَ اللهِ:

٥- أحيوا الحبَّ والتراحمَ بينكمْ بتجسيدِ ثقافةِ التسامحِ سلوكًا عمليًّا في حياتِكم اليوميةِ: فإنَّ ترسيخَ هذهِ الفضيلةِ يبني جيلًا سويًّا يحفظُ للوطنِ أمنَهُ واستقرارَهُ، فبادروا إلى: مجاهدةِ النفسِ عندَ الغضبِ، والتريثِ قبلَ اتخاذِ القراراتِ في لحظاتِ الانفعالِ، والتماسِ الأعذارِ وإحسانِ الظنِّ والبعدِ عن اتهامِ النياتِ دونَ تثبُّتٍ، والاعتذارِ عندَ الخطأِ، وقبولِ الأعذارِ بروحٍ متسامحةٍ تفتحُ أبوابَ الإصلاحِ، وكفِّ الأذى باللسانِ واليدِ والقلمِ وتجنبِ السخريةِ والتشهيرِ عبرَ الوسائلِ الإلكترونيةِ، والسعيِ في إصلاحِ ذاتِ البينِ لإطفاءِ نارِ النزاعاتِ ولمِّ شملِ المتخاصمينَ، والإنصافِ عندَ تباينِ الآراءِ، والفصلِ بينَ نقدِ الفكرةِ واحترامِ صاحبِها، والتيسيرِ في المعاملاتِ الماليةِ، والرفقِ بالمعسرِ، وعدمِ استغلالِ حاجةِ المحتاجِ، والعدلِ وحسنِ الجوارِ معَ الجميعِ دونَ تمييزٍ أو إساءةٍ، والتدربِ على الصفحِ ومجاهدةِ الطبعِ حتى يصبحَ اللينُ سجيةً راسخةً في البيوتِ والأسواقِ والمؤسساتِ؛ وذلكَ تحقيقًا لقولِ النبيِّ ﷺ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ».

٦- وازرعوا هذهِ المعانيَ النبيلةَ في نفوسِ أطفالِكمْ منذُ نعومةِ أظفارِهمْ بالقدوةِ الصادقةِ والكلمةِ الطيبةِ: فإنَّ الطفلَ صفحةٌ نقيةٌ تتشربُ ما يراهُ في بيتِهِ ومدرستِهِ، فإذا ما نشأ في بيئةٍ يسودُها الحوارُ والاحتواءُ، وتُصانُ فيها كرامتُهُ شبَّ واثقًا متوازنًا قادرًا على العطاءِ والتسامحِ، وإذا سادَ العنفُ والزجرُ والقسوةُ معَ الصغارِ فإنها لا تُورثُ إلا انكسارَ النفسِ، أو جنوحَ السلوكِ، أو مرارةَ الخوفِ، ولذلكَ كانَ البعدُ عن إيذاءِ الأطفالِ وإهانتِهمْ صونًا لبراءةِ الطفولةِ وحمايةً لمستقبلِ المجتمعِ بأسرِهِ، ومما يرسخُ هذا النهجَ في النفوسِ أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ يلاطفُ الصغارَ ويقبلُهمْ ويمزحُ معهمْ ويحرصُ على مراعاةِ أحوالِهمْ؛ امتثالًا لقولِهِ تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥].

حفظَ اللهُ مصرَ وأهلَها من كلِّ مكروهٍ وسوءٍ